الرياض الثقافي

rb-culture@alriyadh.com

السبت 21 شعبان 1445هـ 2 مارس 2024م - العدد 20340 - السنة الحادية والستون

SATURDAY -2-3-2024-ISSUE:20340 - 61th Year

الأديب عمران العمران.. حتى لا يسقط من ذاكرتنا

أول رئيس تحرير لصحيفة «الرياض»



حينما تقرر باختيارك أن تترجل من الساحة الثقافية تحت أيّ ظرف ما فاعلم -يا رعاك الله- أنك ستكون في قائمة المنسيين مع الذين سبقوك وستُبْتَر علاقتك مع الساحة الثقافية البتة وسيهيل عليك بعض أفرادها أكواماً من النسيان، فمقولة الأديب الزيدان: (نحن مجتمع دفان) ما زالت سارية الصلاحية، وانظر لجمهرة من النخب الثقافية التي كان لها أصوات في المشهد الثقافي حضوراً وإبداعاً كيف أضحت حينما قررت الابتعاد عن هذا الحراك، فلم تعد تحظى حتى بدعوة في مناسبة ثقافية ناهيك أن تكون في يوم ما على منصات التكريم.

أسوق هذه المقدمة وأنا أشاهد صاحب أول كتاب نقدي في نجد (من أعلام الشعر اليمامي) الصادر عام (١٣٧٧ = ١٩٧٨م) للأديب والناقد والشاعر الأستاذ عمران محمد العمران -متعه الله بالصحة-، ذلك الشاب الذي كان في مطلع السبعينات الهجرية مع الشيخ حمد الجاسر يوطد للصحافة في نجد ويرسي دعائمها، في عصر ساده الاستقرار وزحفت نحوه ملامح التحضر.



محمد باوزير

الخطوات المبكرة:

في عام (١٣٥٢ = ١٩٣٣م) ازدان بيت الشيخ محمد العمران بنور ابنه عمران الذي شاء له القدر أن يأتي في عهد جديد تُحَقق فيه الأحلام وتُدْرَك فيه الأمنيات، فما أن بلغ سنّ التهجي والتلقي حتى دفع به والده نحو الكُتّاب لينال قسطاً من المعرفة من تلاوة للقرآن وحفظه وشيء من تعليم العربية قراءة وكتابة، وحين بدت عليه ملامح النجابة اختلف نحو إحدى مدارس الرياض ليتلقى فيها تعليمه الأوّلي وظل بها حتى أحرز الثانوية العامة فيلتحق بعدها بجامعة الملك سعود ويظفر بدرجة البكالوريوس في كلية اللغة العربية عام (١٣٧٧ = ١٩٥٧م).

ارتأى الشاب عمران أن يفتح لنفسه آفاقاً أوسع في عالم المعرفة والثقافة فانضم إلى معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة والتابع لجامعة الدول العربية وينال منه دبلوم الدراسات الأدبية واللغوية عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، وكان من أبرز من نهل منهم العلم آنذاك الناقد المصري الكبير الدكتور محمد مندور ولعله أدرك شيئاً من علوم ومناهج كل من كانوا يُدَرسون فيه من علية النقاد البارزين، أمثال : سهير القلماوي وعبدالله عبدالجبار وعبدالله الطيب وعلي باكثير ويوسف عز الدين وناصر الدين الأسد وجميل صليبا وشفيق جبري ونازك الملائكة، وآخرون (١).

انطلق الشاب عمران يضرب في الأرض ويسعى باحثاً عن رزقه بعد أن تسلح بالعلم، فتقلب في عدد من الوظائف المدنية والمناصب الحكومية، حيث عين بالأمانة العامة لمجلس الوزراء ومنها مديراً لمكتب العمل بالمنطقة الشرقية حتى عاد مرة أخرى للرياض ليصبح مديراً عاماً لشركة كهرباء الوسطى، فمديراً عاماً للشؤون الإدارية والمالية بالأشغال العامة، كما أعيرت خدماته لمؤسسة اليمامة الصحفية وزامل أستاذه الشيخ حمد الجاسر في أروقة صاحبة الجلالة حتى تسنم رئاسة تحريرها منتصف الثمانينات الهجرية، وهو أيضاً من مؤسسي نادي الرياض الأدبي وأحد أعضائه، وكل تلك الخبرات أهّلته ليُخْتار عضواً بمجلس الشورى في دورتيه الأولى والثانية.

رحلته الأدبية:

جمع العمران بين موهبته الأدبية الأصيلة وعشقه للصحافة من جهة وبين تخصصه في اللغة العربية وعكوفه على قراءة المصادر الأدبية في التراث العربي وأدام النظر فيها ليعقد رابطة محبة وإعجاب مع شعرائها فيقدم دراسات لجمهرة منهم لا سيما من قطنوا اليمامة، فهبط نحو ميدان الصحافة الأدبية يدبج المقالات وينظم القصائد ليصبح له اسماً رائعاً وذائعاً بين لدّاته وذلك منذ نهاية السبعينات الهجرية حيث صحافة الأفراد في أوج ازدهارها، ولينضم صوب صحيفة «الرياض» ويكون من المقربين إلى عراب الصحافة النجدية الشيخ حمد الجاسر، الذي أخذ يحسن له تراثنا الأدبي ويزين له البحث عن شعراء نجد في العصور الماضية ما جعل من أديبنا العمران يواصل عشقه في الكتابة عنهم، فأخذ يُنشئ الفصول الأدبية ويدبج المقالات التراثية لتكون مادة سائغة لقراء صحف «الرياض» والجزيرة واليمامة، ويكشف لقرائه ما تنهض عليه تجارب وخصائص هؤلاء الشعراء بعد أن يُعرِّف بهم ويذكر ديارهم ومضاربهم، أمثال: الفندُ الزّماني وأعشى قيس وقتادة الحنفي وبَكر بن النطاح وجرير الخطفي ويحيى بن أبي حفصة وحفيده مروان بن أبي حفصة والعباس بن الأحنف وعمارة بن عقيل وغيرهم، ما جعله يخرجها في كتاب عام (١٣٧٧ = ١٩٥٨م) تحت عنوان (من أعلام الشعر اليمامي) ويهديه لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز -حفظه الله- حينما كان أميراً لمنطقة الرياض، وأثبت هذا الكتاب حضوره في الأوساط الأدبية، ومرد ذلك تنقيبه الدقيق وبحثه الأمين لأصوات شعرية قديمة انبثقت من تلك الأرض وكونه من أوائل الكتب السعودية التي صدرت في وقت مبكر.

> نظم الشعر ومارس الصحافة وعشق التراث

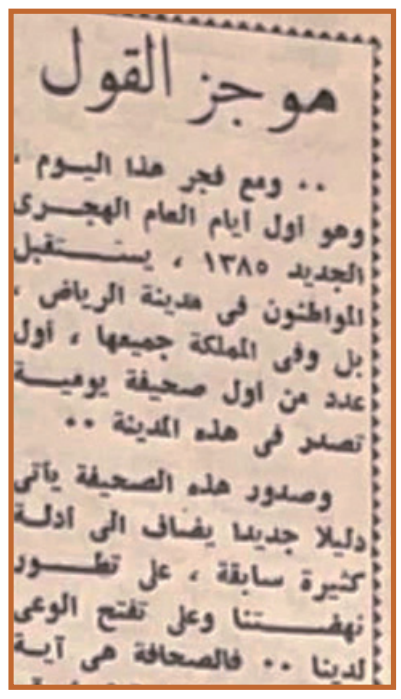
لم يكتف أديبنا العمران بهذا المصنف الجاد الأمر الذي حفزه ليقدم غيره من الكتب التي جاءت مادتها أدبية خالصة، فواصل الكتابة عن أعلام الشعر في الجزيرة العربية واتجه صوب شرقها الأخضر وطاب له أن يختار هذه المرة الشاعر الأحسائي علي بن القرب، الذي يُعَد العمران أول من كتب عنه فيخرجه للقارئ في كتاب: (ابن المقرب.. حياته وشعره) عام (١٣٨٨ = ١٩٦٨م)، لقد أضحت الممارسة النقدية لدى العمران أمراً مهماً وضرورياً فأصدر عام (١٤١٣ = ١٩٩٢م) كتابه (هوامش أدبية)، والذي كان جمعاً لفصول أدبية ونقدية نشرها في ثمانينات القرن الهجري الماضي، والتي أخلص فيها للأدب المحلي منافحاً عن أصالة نشأته ومناقشاً لجملة من القضايا الأدبية وأخرى متعلقة باللغة العربية وأهمية الحفاظ على دورها في عصر فشت فيه لهجات عدة شكلت خطراً عليها وتقلل من استعمالها، كما حلل نصوصاً شعرية وقفت ذائقته عند أبياتها لشعراء كبار منهم: الشاعر القروي والشاعر عبدالله بن خميس والشاعر حسن القرشي والشاعر محمد السنوسي.

مع القوافي:

بعد أن تسلل الشعر إلى قلم هذا الشاب وتعمق في قراءته بدأ يدوزن قصائد شهدتها صحيفتا اليمامة والرياض منذ عام (١٣٧٣هـ/ ١٩٧٣م) حينها كان طالباً في المرحلة الثانوية، فيورق اسمه بين لداته ويعبر بصدق عن خلجاته، حيث العاطفة المشبوبة والصورة الأنيقة ولغة أقرب للنضارة مع أسلوب واضح نراه جلياً في قصائده الوطنية وقضايا البلاد العربية ضد الاستعمار مع وفائه للنموذج الخليلي، ويخرج عام (١٤٠٣ = ١٩٨٣م) ديوان الوحيد (الأمل الظامئ).



لقاء سابق أجراه الزميل حسين الحربي مع عمران العمران بحضور محمد القشعمي



افتتاحية «الرياض» بقلم عمران العمران

انصت إليه وهو يخاطب قصر الحمراء ويستدعي تاريخه العربي المجيد، فيقول:

يا قصر أين ذوي الأمجاد والسير
أين البهاليل من قحطان أو مضرِ
كانوا هنا ملء سمع الدهر صولتهم
فوق السماكين ملء الفكر والبصرِ
كانوا فبانوا ودالت بينهم دولٌ
فأصبحوا أثراً يحكي لمعتبرِ
الخلدُ -يا قصر- للمولى فلا جزعٌ
وهذه شرعة في الكون والعصرِ

وفي هذين البيتين تأتي حرارة عاطفته لتأكد صحة غرامه بعشيقته مهما لقي في حبها من مكابدة:

زعمتْ بأنك عازفٌ عن حبها
كلا.. فتلك شريعة العُشّاقِ
فلقد عَلِقْتَ بحُسْنها وبغُنْجها
ولكم تكابدُ في الهوى وتلاقي

وبعدُ فلك أن تعجب -أيها القارئ- أشد العجب أن أديباً بهذا الحجم والحضور يغفل عنه مؤرخو الأدب ونقاده في نَجْد، فلا يحظى بإشارة صغيرة في هذه الكتب: (شعراء نجد المعاصرون) و(اتجاهات الشعر المعاصر في نجد) و(الشعر في البلاد السعودية) و(الأدب الحديث في نجد)، غير أني أنسْتُ لما كتبه عنه الدكتور حمد الدخيل في (قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية) إلى جانب بعض اللفتات القصيرة في كتاب (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) للدكتور حسن الهويمل.





انعكاس



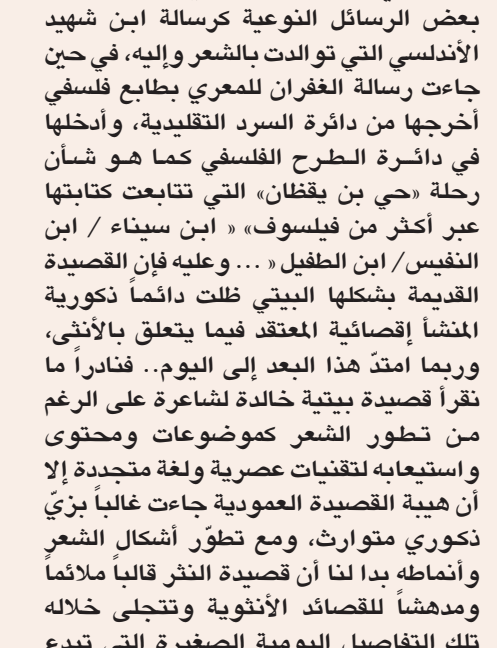
إبراهيم الوافي

الشعر والسرد.. الذكر والأنثى

بين الشعر والسرد سيرة تكامل، مهما حاول الشعراء والساردون تغيير هذا المتلازمة التاريخية فاللغة واحدة والفوارق شكلية، ولا فضل لشاعر على سارد إلا بالنجوى، لكن هناك حقيقة تاريخية ضمنية تشير دائماً إلى أن العرب لم يكونوا يوماً قوم رواية، أو قصة، أو حتى قصيدة نثر.. حين اختاروا من الشعر العمودي أو «البيتي» سيرة لتاريخهم، حَمَلَتْ وحُمّلتْ واحتملت أحداثهم ومآثرهم وبطولاتهم ومصائبهم، والواضح في كل ذلك بروز الشاعر الذكر وتصدّره المشهد مقارنة بشاعرة أو شاعرتين أو ثلاث يجود بهن التاريخ بين حقبة وأخرى، ولظروف وحوادث خاصة.. فالخنساء مثلاً لم تكن لتطفو على سطح التاريخ الشعري القديم لولا مرثياتها في أخيها صخر.. حتى كأننا لا نعرف للخنساء شعراً غيره بل إن قصائد الخنساء كلها قامت على حصر متوارث للأمجاد الذكورية التي جمعتها لأخيها صخر في مرثياتها التي تناقلها التاريخ وحفظناها عن ظهر حب تجلت فيها عاطفة الأخت تجاه أخيها. وحتى بعد أن تمدّنت الحياة في «الأندلس» على سبيل المثال وظهرت «ولادة بنت المستكفي».. لم تكن لتحضر بيننا لولا جرأتها المثيرة في علاقتها مع الذكر – كما أراد لها الرواة – من ناحية، وارتباط تاريخها بالشاعر الأندلسي الكبير ابن زيدون. وربما يبدو للبعض من خلال ما سبق إقصائية للأنثى من تاريخنا الشعري القديم وتغييباً قاسياً لها.. لكننا نحاول أن نستعرض التاريخ لقصيدتنا «العمودية» التي ظل إيقاعها عند العرب مقدّساً.. حتى تحطم هذا الصنم الذكوري على يد الشاعرة العراقية «نازك الملائكة» في الأربعينات من القرن الماضي عبر قصيدتها «الكوليرا» التي يعدها الدارسون أول قصيدة عربية تحطم عمود الشعر القديم. ومن الطريف في الأمر أن أول معجم عربي لشعراء العصر القديم لابن سلام الجمحي (–757 846م) جاء بعنوان « طبقات فحول الشعراء « وفي العنوان إقصاء ضمني للأنثى بني عليه الكتاب من خلال اختيار مفردة «فحول» مما يعني تغييباً كاملاً لشاعرات الزمان القديم على فرضية وجودهن..! في المقابل لم يحمل تاريخ السرد لدينا اسماً أشهر من شهرزاد التي تتجلى على شفاتها الروايات وتتوارد المواقف والأحداث حتى باتت أيقونة ملازمة لكل حكايات التاريخ وأساطيره وخرافاته، على الرغم من أن هناك محاولات حكاياتية تمثلت في مقامات الحريري مثلاً أو حتى بعض الرسائل النوعية كرسالة ابن شهيد الأندلسي التي توالدت بالشعر وإليه، في حين جاءت رسالة الغفران للمعري بطابع فلسفي أخرجها من دائرة السرد التقليدية، وأدخلها في دائرة الطرح الفلسفي كما هو شأن رحلة «حي بن يقظان» التي تتابعت كتابتها عبر أكثر من فيلسوف» « ابن سيناء / ابن النفيس/ ابن الطفيل « ... وعليه فإن القصيدة القديمة بشكلها البيتي ظلت دائماً ذكورية المنشأ إقصائية المعتقد فيما يتعلق بالأنثى، وربما امتدّ هذا البعد إلى اليوم.. فنادراً ما نقرأ قصيدة بيتية خالدة لشاعرة على الرغم من تطور الشعر كموضوعات ومحتوى واستيعابه لتقنيات عصرية ولغة متجددة إلا أن هيبة القصيدة العمودية جاءت غالباً بزيّ ذكوري متوارث، ومع تطوّر أشكال الشعر وأنماطه بدا لنا أن قصيدة النثر قالباً ملائماً ومدهشاً للقصائد الأنثوية وتتجلى خلاله تلك التفاصيل اليومية الصغيرة التي تبدع الأنثى في إحصائها وتبتكر دائماً في خلقها.

مشيناها.. حكايات ذات





محمد العبدالوهاب

من باب الوفاء .. جعلت من اسم كتابه عنواناً لمقالي وعن تلك الأمسية الباذخة فكراً ومعرفة للحديث عن ما دار على جنباتها من عظمة ووفاء الضيوف الكرام والحضور القيّم الكريم، أجمعوا على قامته وقيمته وإثرائه للفكر والمعرفة في ساحة الأدب والثقافة والإعلام، فضلاً عن المسؤوليات المنوطة به كرجل دولة عظيم خاض في سلكها الحكومي مهام عدة كوزير للتعليم العالي وعضو مجلس شورى وعضو مجلس الأمناء، فضلاً عن عضويته الثابتة بالمجلس الأعلى للإعلام. – للأمانة – كانت ليلة من ليالي الوفاء والإثراء، بمناقشة كتابه (مشيناها .. حكايات ذات) كعنوان رئيس للأمسية وعن أهم المواقف والمنعطفات في حياته العلمية والعملية الذي ذكر مؤلفه الراحل في كتابه بوصفه لها، أنها حكايات عُمر لم يعرف من خلالها وقتاً للفراغ بل كانت حياة قلق شكلتها الصّدف منذ الطفولة. في ثنايا الأمسية والتي تشرفت مَن خلالها التقديم وإدارة محاورها والمناقشة في الكتاب، توقفت كثيراً إعجاباً بذلك الوفاء الجم الذي تناوله معالي الأستاذ محمد الشريف رئيس الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد عضو مجلس الشورى (السابق) بمداخلة عن رفيق دربه في الثقافة والأدب (الراحل) الشبيلي بأنه كرس اسمه في العالم العربي كواحد من الأدباء المرموقين نظير جهوده الفكرية واللغوية والمعرفة، بينما أشارت الأديبة الدكتورة إيمان محمد بن فهد العيسى كريمة السفير السعودي (وقتذاك) لدولة الكويت بأن الراحل الشبيلي يُعد من الشخصيات التي تميّزت باتساع الأفق وبالنظرة الثاقبة والتعاطي الواعي مع ما حوله؛ فضلاً عن مواقفه النبيلة التي تنضح وفاءً، والتي تعكس لنا مدى نبله. وكان من الأصدقاء المقربين لوالدي (رحمهما الله). في المقابل كان وعلى جنبات الحضور الروائي الجميل الأستاذ أحمد السماري الذي قال: ذكريات لا تُنسى مع د. الشبيلي خصوصاً حينما استمع للإذاعة وأشاهد التلفزيون في زمن تصوير (الأبيض والأسود)، وفي الأخير كان لرجل الأعمال الأستاذ فيصل آل إبراهيم (حفيد) الراحل د. عبدالرحمن الشبيلي كلمة عبر فيها عن وفاء جمعية أوج التعاونية ممثلة بالأستاذة هيا آل صبيح والأستاذة هيا السماعيل وبالتعاون مع ديوانية آل حسين التاريخية ممثلة في الأديب والوجيه عبدالعزيز الحسين، بهذا الوفاء الجميل وتنظيمهما الأمسية الرائعة التي أظهرت قوة العلاقة الأصيلة التي طرقت مسامع الحضور من أحاديث شيقة ومشرفة عن الراحل الكبير.